

أربع شخصيات تبحث عن إجابات لأسئلة مرهقة

وإشكالياتها التاريخية التي لا تزال امتداداتها قائمة في الحاضر، أيضا، كمكون نفسي مهم في بناء الشخصيات. إلا أن الشخصيات، رغم المكان، واقع متخيل، تحاول خلقه عبر نواتها الداخلية، كعالم مواز يحضر على هيئة تخيلات، كلمات، شهوات جنسية غير منضبطة وتشوهات نفسية غير مفهومة. في إطار ما سبق، يمكن القول إن رواية "متسولو الخلود" هي رواية فلسفية بامتياز، إذ السؤال الوجودي، الشعور بنقل الكينونة، محاولة إيجاد صيغة فلسفية للعيش بشكل ما ومساءلة الخلود أو اللالخد، تشكل مجملها العناصر الفلسفية للرواية.

ومن زاوية نظر أخرى، يمكن اعتبار هذا العمل رواية سيكولوجية تستخدم التحليل النفسي أو التشريح النفسي للشخصيات عن كتب وبشكل دائم، كأنما الروائي ليس إلا مراقبا لسلوكيات الشخصيات ودوافعها النفسية التي لا تظهر دائما بشكل واضح. ويقول أنس إبراهيم، "الشخصيات الأربع الرئيسية ليست بعيدة عن واقعي الشخصي. أما موضوع الوجود؛ بطريقة نظر معينة يمكن اعتبار الرواية فلسفية، بطريقة نظر أخرى، يمكن اعتبارها رواية سيكولوجية، وبطريقة نظر أخرى، يمكن اعتبار الموضوع الفلسفي في الرواية عارضا ونتجا أفكار وخيال الشخصيات الأربع الرئيسية".

**«متسولو الخلود» للكاتب
أنس إبراهيم رواية وجودية
فلسفية وكذلك رواية
سيكولوجية أبطالها
تأهون في عالم بلا معنى**

ويضيف، "شخصيا لم أذهب إلى أي تيمة معينة، ربما في بداية الكتابة كنت مأخوذاً بأفكار فلسفية ونفسية وكنت اعتقد أنني سأعالجها في الرواية، ولكن لاحقا، كنت كأي قارئ آخر، أكتب ما تلفظه الشخصيات وما تفكر فيه، وأحاول التدخل بين الحين والآخر، بشكل مفضوح أحيانا وبشكل سري أحيانا أخرى. في بعض الأحيان اعتقدت أنني كنت أكتب لأعرف حقا ما يحدث، وربما يكون هذا تفسير القلق المرافق للأحداث والشخصيات، فلا الشخصيات ولا الكاتب كانوا يعرفون ما الذي سيحدث حقا، ولماذا يحدث ما يحدث حقا".

«قناديل الأمل»

قصائد نبطية جديدة

**من علامات الجدة في
الديوان شيوع ثقافة
الشاعر الحديثة في نصوصه
واستفادته من الميثولوجيا
والشعر الفصح والتاريخ**

الأميرة المدللة، وابن زيدون العاشق، وابن عبدوس الوزير الباطش. وتشيع في الديوان علامات أخرى تشي بثقافة الشاعر مثل توظيفه لـ"عوليس" بطل أوديسة هوميروس و"سيزيف" إحدى شخصيات الميثولوجيا الإغريقية، إلى جانب إشارته إلى قصيدة "يا جارة الوادي" لأمير الشعراء أحمد شوقي في قصيدته "جارة الوادي".

ويعد الشاعر صالح الهقيش الصخري أحد نجوم الموسم الثامن من مسابقة "شاعر المليون" الذين بلغوا بجدارة المرحلة النهائية، ومن أبرز الشعراء النبطيين الأردنيين الذين نالوا استحسان لجنة تحكيم المسابقة حضورا وإلقاء وإبداعا، وقد نال المرتبة الأولى في مسابقة حبیب الزويدي الشعرية "للعام 2019 من خلال قصيدته النبطية "كعب أحيل".

بيروت - تقدم رواية "متسولو الخلود" للكاتب الفلسطيني أنس إبراهيم، نموذجا من السرد الروائي الذي يشغل على الإنسان بوصفه مركز النظر إلى العالم بالاستناد إلى التحليل النفسي الوجودي، والذي يستند بدوره إلى أسئلة الوجود، الكينونة، الجنس، الخلود والرغبة المجردة.

هي رواية وجودية فلسفية وكذلك رواية سيكولوجية، أبطالها بلقيس، يوسف، ولید، وغسان. أربع شخصيات، أربعة وجوه، أربعة أسئلة عن المعنى، وأربعة إسقاطات، تحاول مواجهة معضلة الوجود.

لكل شخصية من شخصيات "متسولو الخلود"، الصادرة حديثا عن دار هاشيت أنطون/نوفل، سؤال وجودي ما، إشكالية نفسية وماض لا يمكن الهروب منه. يحاول الشاعر يوسف الراوي الوصول إلى تسوية ما، ما بين وجوده العادي ورغبته الحارقة في اللاعادية. بينما يجد المقاتل، ولید العبدالله نفسه في مازق ذهنه النقي وواقعه القبيح، رغبته الدائمة في الهرب من المعركة، بانتهاج الحرب، والجلوس في مكان هادئ، أن يتزوج ويكون عاديا فيما أولاده يحيطونه، بعيدا من الحرب الدائمة والمعارك المتتالية، ولا يستطيع وليس بعيدا من يوسف، تجد بلقيس نفسها ترتكب الجرائم العاطفية المتتالية، مدفوعة بشعور دائم بالقلق والمثل، والرغبة في وجود عادي من نوع خاص. تختفي بلقيس من حياة يوسف في لحظة، وتهرب منه إلى غسان، المعالج النفسي والتاجي من مجزرة صبرا وشاتيلا، والذي يحاول جاهدا العيش وفق صيغة نفسية معقدة، تمكنه من الاحتفاظ بتوازن نفسه وتبعد أشباح مجزرة صبرا وشاتيلا عن ذهنه وعن واقعه اليومي، ولكنهما، بلقيس وغسان، يصطدمان ببعضهما، بالعاطفة، وبماضيهما، يوسف ولید والمجزرة، يحضر بشكل دائم في الحاضر ولا يترك لهما أي قدرة على البدء من جديد.

"الماضي لا ينتهي أبدا"، كذلك، السؤال الوجودي، الفلسفي والنفسية، الذي لا يكف عن الحضور في الرواية. ورغم حضور الانتفاضة الثانية كإحدى أهم تيمات المكان والزمان في الرواية، إلا أن العمل الروائي في "متسولو الخلود" يكمن في الإنسان وحول الإنسان نفسه، فالانتفاضة تحضر كحدث، يؤثر، يخلق انعطافات استثنائية في حيوات الشخصيات، ويحضر المكان

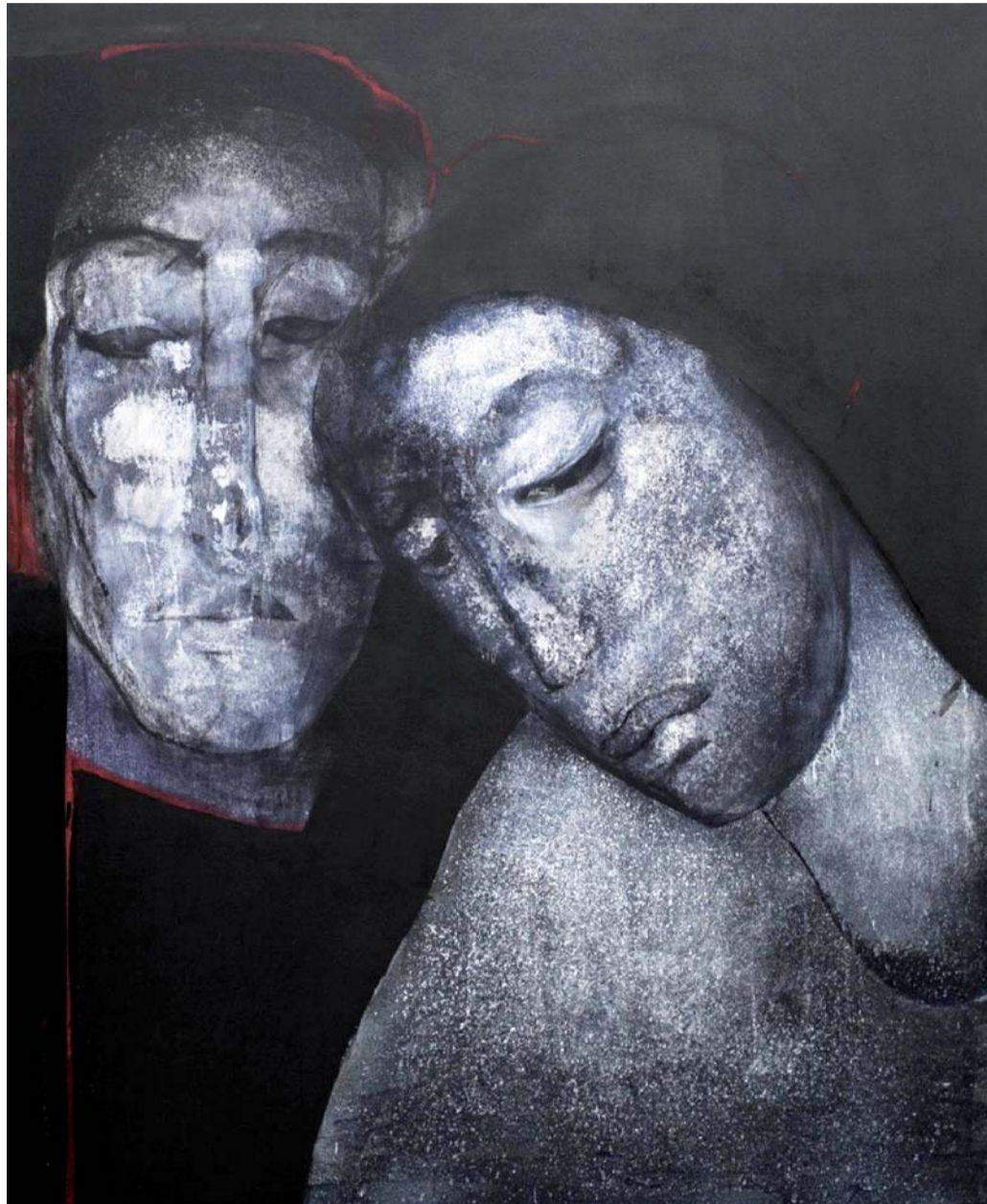
الزاهي. يختصر السارد رغبة القتل في المقطع التالي: "ارحل إذا بدلك، فورا، وإلا عجزت عن ذلك إلى الأبد... عندما يقول الآخر شيئا بهذه الجزرية تتقد عيناه بالحكمة والأسنى، إنه ينصح مسعود بشيء عميق طالما تمناه لنفسه، ولم يقدر عليه، كأنه يطلب منه أن يفعل ذلك من أجلهما، من أجل حدث شيء يغير مجرى الحياة، ويبدد فيها احتمالات غير متوقعة... أحيانا كثيرة يتسائل الآخر بينه وبين نفسه لماذا يريد حياة أخرى، إنه يعرف جيدا أن ذلك مستحيل، لماذا لا يقبل بالحياة الوحيدة التي حصل عليها؛ لماذا يتألم؛ لكونه لم يحصل على حياة مختلفة، وهل كان يمكن أن يحدث ذلك؟".

كتب محمد الأشعري رواية "العين القديمة"، الصادرة عن دار المتوسط وميلانو 2019، برغبة تخليد مدينة وجيل وذاكرة، قد تكون رواية الدار البيضاء، مثلما كانت "علبة الأسماء" (روايته السابقة) رواية الرباط، وقد تكون رواية جبل انقشاع الوهم بصد مغرب الراهن، حيث لا جديد إلا الانتظار والهروب إلى الأمام، وقد تكون رواية الاستعادة الذكرة للتصالح مع ما أفل وانقضى، برغبة تطهيرية، عبر خيال العين القديمة، وامتلاك صور تلك الذكريات وتأييدها، والإقرار بفعل الزمن والتاريخ، ومسار العمر. لا جرم إن أن تحفل "العين القديمة" بالروح التهمكية وبالانحياز إلى سكية ما بعد خيبة الأمل، وأن تستند إلى عبارات لا تقول إلا حقيقتها الحادة والمدوخة التي تجعل من نص عملا استثنائيا في مسار الروائي محمد الأشعري.

ومن علامات الجدة؛ شيوع ثقافة الشاعر الحديثة في نصوصه، فعلى الرغم من كونه شاعرا نبطيا إلا أنه مطلع على المتن الشعري العربي الفصح، فهو يوظف مطلع معقدة امرئ القيس "فقا نيك" في قصيدته "جيت أحبك"، ويوظف مطلع قصيدة ابن زيدون "أضحى النائي" في قصيدته "ولادة"، ويوظف مثل الصراع العاطفي الشائع في تاريخ الأندلس؛ ولادة

رواية عن بطل رمادي يكاد يكون حجرا بركانياً منطفئا

«العين القديمة» لمحمد الأشعري.. رغبة تخليد مدينة وجيل وذاكرة



فردانيات غارقة في السواد (لوحة للفنان إسمايل الرفاعي)

بين الحقيقة والخيال، وتفصيل جرائم قتل حدثت، وأخرى كانت ستحدث... رغبة القتل المتواترة في جدل مع الندم والسعي لهروب ممنوع، وكأنما الرواية تنظر إلى وقائع حاضر صار على ما انتهى إليه بالرغم عن الفاعلين فيه، لهذا لم يعد يعنهم تكراره وانحداره وخراب ماضيهِ الزاهي.

يختصر السارد رغبة القتل في المقطع التالي: "ارحل إذا بدلك، فورا، وإلا عجزت عن ذلك إلى الأبد... عندما يقول الآخر شيئا بهذه الجزرية تتقد عيناه بالحكمة والأسنى، إنه ينصح مسعود بشيء عميق طالما تمناه لنفسه، ولم يقدر عليه، كأنه يطلب منه أن يفعل ذلك من أجلهما، من أجل حدث شيء يغير مجرى الحياة، ويبدد فيها احتمالات غير متوقعة... أحيانا كثيرة يتسائل الآخر بينه وبين نفسه لماذا يريد حياة أخرى، إنه يعرف جيدا أن ذلك مستحيل، لماذا لا يقبل بالحياة الوحيدة التي حصل عليها؛ لماذا يتألم؛ لكونه لم يحصل على حياة مختلفة، وهل كان يمكن أن يحدث ذلك؟".

كتب محمد الأشعري رواية "العين القديمة"، الصادرة عن دار المتوسط وميلانو 2019، برغبة تخليد مدينة وجيل وذاكرة، قد تكون رواية الدار البيضاء، مثلما كانت "علبة الأسماء" (روايته السابقة) رواية الرباط، وقد تكون رواية جبل انقشاع الوهم بصد مغرب الراهن، حيث لا جديد إلا الانتظار والهروب إلى الأمام، وقد تكون رواية الاستعادة الذكرة للتصالح مع ما أفل وانقضى، برغبة تطهيرية، عبر خيال العين القديمة، وامتلاك صور تلك الذكريات وتأييدها، والإقرار بفعل الزمن والتاريخ، ومسار العمر. لا جرم إن أن تحفل "العين القديمة" بالروح التهمكية وبالانحياز إلى سكية ما بعد خيبة الأمل، وأن تستند إلى عبارات لا تقول إلا حقيقتها الحادة والمدوخة التي تجعل من نص عملا استثنائيا في مسار الروائي محمد الأشعري.

الاصوات الجماعية والضماير العامة إلى فردانيات غارقة في سخريتها السوداء، وفي دوامة عيشها ومراراتها، ولذا نذرها المقدسة للشكرار. وعبر اتصالهما تنمو تفاصيل سردية العائلة الصغيرة التي تحكم بنية الرواية، ففي صلة مسعود بابنائيه (وتحديداً منى)، وصلة الآخر بإخوته وخصوصاً "البارون" (محامي الصفقات المشبوهة، من الانتخابات إلى تجارة المخدرات وشبكات الدعارة، والمضاربات العقارية) تتنسخ وقائع التخييل الروائي، مازجا بين المجاز العائلي والعقدة الوليسية، رافدا بنية السرد بوقائع حقيقية، عن شخصيات وجرائم وفصائح ملات الدنيا وشغلت الصحافة والناس، وانطوت على كنه درامي مغر بإعادة تخيل ما جرى.

وفي مقاطع مفصلة من متن الرواية يشتمك مسعود وصديقه "الأخر" مع ابنته منى، المقيمة بسان فرانسيسكو، أثناء زيارتها المتكررة للدار البيضاء، يخوضون معا في حكاية وقائع ولادته وما جرى من خطأ، كاد يستبدل بها طفل آخر، لحظة وضعها في غرفة الوليد الجدد، طفل يعود إلى إحدى ضحايا أحداث 1981 بالدار البيضاء، وتدرجيا نبت الشك في ذهن الياقعة، التي باتت تشبه أمها هيلين. وتتسرع الرواية في تقليب مصائر أطفال قادتهم الصدفة إلى الولاية في الصحبة ذاتها في اليوم عينه، وكأنما العين القديمة تائب إلا أن تعيد فحص ذاكرتها، وبتركيب حيوات من تستدعيه منى لحضيرة الرواية، نتعرف على نماذج بشرية وأصوات ومنظومات سلوك وخرائط مضرة للمدينة المتداعية، كما نتعرف عبر محطات جدالها مع أوبوها؛ الحقيقي والموازي، مسعود والآخر، على تفاقمات مشهد منذور بالتحول والانهدام.

وفي مقابل تلك الثنائية يتشكل المبنى الدرامي الكابوسي في الرواية عبر رغبة نبئية في القتل، قاتل ينبت في الخيال والأحلام، ووقائع قتل تتكرر ما

لكن يبدو أن العكس هو ما وقع، حيث بثبت التخييل السردى أن ثمة احتمالا لذات من قبل طيف، ثم ضمير، فصوت، فذات ضميرية، فأخر ينطق بما يمليه سياق أحداث تقتضي مخاطبا. لنقل إن جلسة شراب عابر يمكن أن توهمنا أن الحديث بصوت مرتفع أمر عادي وأن التوحد طقس شرابي، يفضي إلى خلق الآخرين، لكن سرعان ما ينقلت هذا النديم الذي يقول "أعرف أنبذة أفضل منه لا ترقى إلى مستواه" لتعقد في النهاية، أن الآخر فعلا شخصية روائية، اختار السارد ألا يسميها، ردا للعبة ترميز منشوش، وسرعان ما يتبين في هذه البدايات، الممتدة ببطء، أن الأمر يتخطى التخفيف من حدة التنوع الشخصي، المقتضى روائيا، إلى وضع القارئ أمام تكوين خطابي ممتد بثنائيته، هو جوهر ما تستبطنه العين القديمة من ترددات ينبغي أن تكون لها أسماء، ومجازات، ومسارات.

هكذا تولد من الآخر نظائر حياتية لمسعود، تعبر عتبات وجوده بالدار البيضاء وباريس وروما، ثم العشرات من العتبات المتراسلة، الأخذة معها حيواتها، من ثورة الطلاب بفرنسا الستينات، إلى ما بعد مغرب سنوات الرصاص، ومن السدار البيضاء المتأخرة البانلة لرغبة العيش، إلى مدينة الاعتناء عبر الجريمة، مدينة الربيع العابر والممتد، تلازم يوحي بالتوحد، والتناقض في آن، معا، ففي النهاية توهم المقاطع السردية بأن ذلك الشخص موجود وغير موجود، له شق مادي، "يعرفه الناس"، وشق افتراضي، "لا يعرفه أحد سواه"، وهو "نسخته المضادة، إنه هو نفسه معمول بشكل مختلف".

تخليد مدينة

بصيغة المراوحة بين الصوتين المتناهيين والمقطوعين تتشكل عوالم الرواية، المتصلة بمدينة الدار البيضاء، وبالغرب المعاصر، وبالانتكاسات السياسية، وخيبات الاستقلال، وعبثية التسلسل، وانعطاب الأحلام، وارتداد

لا تكون العين متعلقة بالمنظور إلا باحتمالات قليلة في الرواية، إنها تتشوّف إلى المخفي، المستقطر من مصفاة الذاكرة، أو المحدوس بالبعيرة، شخصيات ووقائع وأمكنة وتفصيل وقت لتتبعها مراجعات ما بعد الرؤية، وتحولها إلى احتمالات، يمكن دوما أن تستوعب بوصفها ماضيا.

شرف الدين ماجدولين
كاتب مغربي

لا تحتمل الرواية العين إلا كذريعة لبدايات لا تصدق نهاياتها، وربما من أكثر المجازات تعلقا بالحقيقة تلك التي نتعت الرواية بانها عين انتهت ومضت إلى مستقرها.

في رواية "العين القديمة" لمحمد الأشعري، ثمة شخوص وأمكنة، ونكهات، وأساليب كلام، وأوهام، وأنماط سلوك، انتهت، بمنطق الغياب الذي لم يعد بإمكانه التجلي إلا بوصفه نكري، يتنس على البصر، لهذا كان منطلق الرواية ومالها مركزا على المخالفة في التعيين والتبيين، منذ الجملة الأولى، "أيقظته الرغبة في القتل، كان مستلقيا على ظهره في ظلام الغرفة، ولكن الشخص الذي أيقظته رغبة القتل كان واقفا".

استيقظ "مسعود"، البطل، على حقيقة انشطاره، التي لا تعني شيئا إلا ما تعمس عنه عيون وبصائر الآخرين، "ذات هي عينها كآخر" (بتعبير ريكور)، تتشكل على امتداد المقاطع الأولى من الرواية، بما هي شخصية تستبطن وعبا، يميز بين حقيقتها وإدراكها لما يجري لها... تتنابها على امتداد المبنى الروائي رغبة مرزقة في القتل، لمن لا يتجلى إلا بوصفه شخصا ثابوا في الذات العميقة، ثم محاورات تتنامى بين أصوات توهم بالثنائية، بين عين وذات، وبين ذات وآخر، بينما لا يحتمل المنظور الضمير لإحوارية حلمية يعيد فيها التخييل الروائي بسط أعماق شخصية تستعصي على الرؤية.

شخص متعدد

لنقل إن الرواية هي فن إنتاج نظائر لما لا ينظر إليه إلا بوصفه "واحدا"، يعي البطل مسعود منذ البداية أنه يسلك مسارا موحشا ترد فيه الصور والمفردات والأفكار والمواقف إلى قاعدة مفردة، هو "وحيد"، بتسمية أخرى له، نعتة بها السارد، وهو "كاغيد"، يخشى البلب بمياه الأحوال والصفات، لهذا لن يكون توحد الممتد إلا ذريعة للعين الروائية التواقفة إلى النفاذ لعمق مستغنى بثنائيتها عن الآخرين.

الرواية تولد من الآخر نظائر

**حياتية لبطلها، لتعبر
عتبات وجوده بالدار البيضاء
وباريس وروما، ثم العشرات
من العتبات المتراسلة**

في مقطع عابر من الرواية يتحدث السارد عن فندق لتكولن في الدار البيضاء، العقار الذي يختصر مال مدينة كولونبالية منذورة للزوال، كان الفضاء مساوي لمتشرد وحيد، (مثل مسعود تماما)، وله أيضا نديده، الذي لن يكون إلا ذاته عينها، في لحظة ما يقول السارد ما يلي:

"لقد كان مسعود حتى الآن شخصا آخر، وما هو شخص غريب يقتحم حياته كما كان المتشرد يقتحم أهباء فندق لتكولن، ولكن الفرق، يقول مسعود لنفسه محدثا، إنني لست 'خرابة'، لست بناية سرقت أحشاؤها وحضرت على مهل للانهيار... هو الاحتمال الهمني لشخص مليء بالحياة والرغبات، من طرف شخص رمادي، يكاد يكون حجرا بركانيا منطفئا منذ الآلاف من السنين... وعلى فقط قتلته، لا مكان لشخصين بهذا التناقض كله في حياة واحدة".